أحمد مرسي ودراسة المأثورات الشعبية العربية

أ.د خالد أبو الليل*

"دز وليدك ع الميدان .. يجيب مثيله من العيدان"

"مثل شعبي بدوي"

(1)

ينتمي أحمد علي مرسي (1 يناير 1944– 20 يوليو 2022) إلى الجيل الثاني من جيل الرواد في مجال دراسة المأثورات الشعبية العربية. فلقد جاء حاملًا لواء هذا المجال العلمي المهم، على المستويين المصري والعربي، وذلك خلفًا للجيل الأول من الرواد، عبد الحميد يونس، وسهير القلماوي، وعبد العزيز الأهواني، وأحمد رشدي صالح. أحمد مرسي ذو نشأة ريفية، فهو من مواليد محافظة كفر الشيخ، وقد تخرج عام 1963 في قسم اللغة العربية وآدابها، بكلية الآداب، جامعة القاهرة. وقد ساعدته نشأته الريفية، في المجال الذي اختاره وتخصص فيه، مجال دراسة المأثورات الشعبية المصرية. حدد أحمد مرسي لنفسه منذ البداية مسارًا علميًّا، مثَّل فيما بعد مشروعًا لمدرسة علمية، تمثل في بداية توجه الجامعات المصرية نحو جمع المأثورات الشعبية، وتوثيقها وتصنيفها ودراستها على نحو علمي داخل المؤسسات الأكاديمية. فإذا قلنا إن عبد الحميد يونس هو أول أستاذ كرسي متخصص في الأدب الشعبي داخل الجامعات المصرية والعربية، فإن أحمد مرسي أول أكاديمي مصري وعربي، يخصص دراسة أكاديمية عن جمع المأثورات الشعبية. وهو ما نجده في رسالتيه للماجستير والدكتوراه. فلقد اختص رسالة الماجستير– التي حصل عليها عام 1966 من بيته، الذي اعتز به، قسم اللغة العربية بآداب القاهرة– بالأغنية الشعبية في منطقة البرلس (بمحافظة كفر الشيخ/ مسقط رأسه)، واستمر هذا الاهتمام بالجمع الميداني في رسالته التي حصل بها على درجة الدكتوراه عام 1969، والتي كان عنوانها "المأثورات الشعبية الأدبية في محافظة الفيوم". الأمر الذي يجعلنا نصف د. أحمد مرسي، بأنه رائد دراسات الأدب الشعبي الأكاديمية الميدانية في مصر والعالم العربي. لم يكن اختيار هذا المجال سهلًا، لا من حيث المعاناة التي عاناها في الجمع والتوثيق والتصنيف، ولا في النظرة التي كان يُنظر بها إليه، حيث السخرية والتقليل من شأن مثل هذا التوجه تارة، أو إلقاء التهم عليه تارة أخرى. ولكن إصراره على المواصلة، والمضي قدمًا في هذا المسار كان كفيلًا بترسيخ أقدام هذا التوجه داخل الجامعات المصرية والعربية. ولقد ظل هذا التوجه هو الشغل الشاغل له، طوال مسيرته العلمية؛ بالقدر الذي يجعلنا

* أستاذ الأدب الشعبي، كلية الآداب، جامعة القاهرة

نقول باطمئنان إن هذا التوجه مثَّل مدرسة علمية رصينة رادها باقتدار وعلمية ومنهجية أحمد مرسي. ولقد جاء إصراره على السير في هذا الاتجاه؛ رغبة منه في جمع ما تبقى من مأثوراتنا الشعبية، قبل ضياعها بوفاة رواتها وحفظتها. ولذا نرى أن هذا الاتجاه هو الاتجاه الغالب على تلامذة أحمد مرسي، الذين تتلمذوا عليه، وكذلك الغالب على دراسات أحمد مرسي نفسها، التي تلت بداياته الأكاديمية.

فلقد تمثلت بدايات دراسة الأدب الشعبي- على المستوى الأكاديمي- في الاهتمام بالأدب الشعبي المدون، مثل ألف ليلة وليلة وكليلة ودمنة والسير الشعبية العربية المدونة، لكنها سرعان ما تحولت إلى الاهتمام بالنصوص الشفاهية. وقد تمت هذه النقلة- على نحو أكاديمي- على يد أحمد مرسي، برسالتيه: للماجستير "الأغنية الشعبية في منطقة البرلس/ 1966"، والدكتوراه "المأثورات الأدبية الشعبية في إقليم الفيوم/ 1969". ومن يتأمل دراسة المأثورات الشعبية المصرية خاصة، والعربية عامة، منذ بداية الاهتمام بها حتى الآن، سيلحظ أننا بإزاء ثلاثة تيارات في دراسة الأدب الشعبي عامة، والمصري خاصة. أولها: ذلك التيار الذي يهتم بدراسة النصوص الشعبية المدونة، أو أمهات كتب التراث العربي؛ لدراستها أو استخراج المادة الفولكلورية منها. وقد مثَّل هذا التيار الرعيل الأول من دارسي الأدب الشعبي من أمثال: محمد عبد المعيد خان، وعبد الحميد يونس، وسهير القلماوي، وعبد العزيز الأهواني، ومحمد فهمي عبد اللطيف، وفؤاد حسنين علي، وزكريا الحجاوي، وفاروق خورشيد، ومحمود ذهني، ومن تبعهم من بعض تلامذتهم من الجيل الثاني مثل نبيلة إبراهيم، وشوقي عبد الحكيم، وصفوت كمال، ومحمد رجب النجار، وصلاح الراوي، وخطري عرابي أبو ليفة. ثانيها: تيار انشغل بدراسة الأدب الشعبي الحي/ الشفاهي، دون إهمال النصوص الشعبية المدونة. وقد راد هذا التيار أحمد علي مرسي منذ ستينيات القرن العشرين، وتلامذته، وبعض دارسي الفولكلور المصري من غير الأكاديميين، مثل أحمد رشدي صالح وأحمد شمس الدين الحجاجي وفوزي العنتيل وصفوت كمال وعبد الحميد حواس وصلاح الراوي وإبراهيم عبد الحافظ ومصطفى جاد ومحمد حسين هلال ومحمد حسن عبد الحافظ وهشام عبد العزيز ومسعود شومان وأحمد بهي الدين وأحمد توفيق ومحمد أمين عبد الصمد وخالد أبو الليل. وثالثها: تيار من الباحثين المصريين اهتم بترجمة بعض النصوص الشعبية أو الدراسات الغربية، مثل الملاحم والأساطير اليونانية والإغريقية، أو تقديم دراسات عنها، على نحو ما ترجم طه حسين لأسطورة الملك أوديب، أو دراسات لويس عوض عن الملاحم الغربية، أو ترجمة عبد الحميد يونس لكتاب "البنجاتنترا" أو ترجمات نبيلة إبراهيم المهمة لدراسات "الفولكلور في العهد القديم"، و"الماضي المشترك بين العرب والغرب"، و"الحكاية

الخرافية"، وكذا ترجمة أحمد مرســـي لكتاب "المأثورات الشـــفاهية" المهم لمؤلفه يان فانســـينا، وترجمات عبدالمعطي شـــعراوي فيما قدمه عن الأســـاطير الإغريقية، وأحمد عتمان في ترجمته للإلياذة وغيرها من النصـوص الملحمية اليونانية. ومما تنبغي الإشـارة إليه، أن هذا الفصـل بين التيارات الثلاثة فصـل تعسفي بغرض الدراسـة والتصـنيف فحسـب؛ ذلك لأننا قد نجد بعضـا ممن ينتمون إلى أحد هذه التيارات– الأول أو الثاني تحديدًا– يكتب ما يمكن تصنيفه في التيار الآخر. فالتصـــنيف هنا قائم على التيار الأكثر بروزا عند كل منهم. وما دمنا نتحدث عن أحمد مرســـي، فقد اشـتمل إنجازه على الكتابة في التيارات الثلاثة، وإن كان انشـغاله الأكبر بالتيار الثاني، الذي يهتم بالأدب الشعبي الشفاهي، وجمعه وتدوينه وتوثيقه وتصنيفه؛ تمهيدا لدراسته.

لقد بات جليًّا اهتمام أحمد مرسي بدراسة الشفاهي، بعد جمعه جمعًا ميدانيًّا علميًّا، وتوثيقه وتدوينه وتصنيفه تصنيفًا علميًّا رصينًا، نابعًا من احترام مصطلحات البيئة المحلية المنتجة له. وفي هذا الإطار، أعني تيار دراسة الأدب الشفاهي، ينشغل أحمد مرسي بتأسيس مدرسة عربية في الجمع الميداني للنصوص الشعبية، وأرشفة هذه المواد الفولكلورية، وتوثيقها توثيقًا علميًّا. لذلك اهتم بتأصيل دراسة المأثورات الشعبية المصرية والعربية في كتابه "مقدمة في الفولكلور/ 1995". ورغم انشغاله في القسم الأول من هذا الكتاب بالتأصيل النظري لعلم الفولكلور عالميًّا وعربيًّا، فإنه انشغل في القسم الثاني بالتوقف عند آليات العمل الميداني، وجمع المادة المجموعة وتصنيفها وأرشفتها. ويتبدى هذا الاهتمام بالأدب الشعبي الحي في كتبه "من مأثوراتنا الشعبية/ 1998"، "الأغنية الشعبية: مدخل إلى دراستها"، و"كل يبكي على حاله"، و"الخرافة في حياتنا". كما إنه انشغل – وإن لم يكن بالدرجة نفسها– بدراسة المدون، على نحو ما يظهر في دراسته عن "ألف ليلة وليلة والهوية/ 1994". وقد اجتمع الاهتمامان بالمدون والشفاهي معًا في كتابه "الأدب الشعبي وثقافة المجتمع/ 1999". هذا إلى جانب اهتمامه بتقديم الجديد من مناهج ونظريات حديثة ومجالات فولكلورية جديدة إلى العالم العربي، وهو ما يتبدى في ترجمة كتاب يان فانسينا "المأثورات الشفاهية/ 1999"، وفي المقدمة المستفيضة للكتاب، التي كانت بمثابة بداية اهتمام بعلم التاريخ الشفاهي في العالم العربي.

ولقد عضد من دعوة أحمد مرسي في الاهتمام بدراسة الأدب الشعبي الحي وجود مجموعة من تلامذته، الذين دفعهم دفعًا، أو اهتموا من تلقاء أنفسـهم، بالاهتمام بهذا الاتجاه في دراسـة الأدب الشـعبي. من بين هؤلاء التلامذة نجد محمد حسين هلال، سواء في دراسته عن الحكاية الشعبية في منطقة العياط، أو الموال القصـصـي. وفي دراسـة وصـفي عطية حسـن عن الأغنية الشـعبية البدوية في الفيوم، ومحمد حسن عبد الحافظ عن "روايات السيرة الهلالية في أسيوط"، أو "السيرة

الهلالية في سوهاج"، وخالد أبو الليل في دراستيه "الحكاية الشعبية في محافظة الفيوم/ 2003"، و"السيرة الهلالية في قنا/ 2008" وأيمن عبد العظيم في دراسته عن "الشعر البدوي في الفيوم"، ودعاء مصطفى كامل "الفوازير: دراسة ميدانية في الأدب الشعبي/ 2008"، وأحمد بهي الدين في "السيرة الهلالية في كفر الشيخ". وكذلك من تلامذته: سميح شعلان، وإبراهيم عبد الحافظ، وخطري عرابي ونهلة إمام ومصطفى جاد ومحمد شبانة وغيرهم الكثير.

هذا إلى جانب بعض رسائل الماجستير والدكتوراه التي قُدمت تحت إشرافه عن بعض قضايا الأدب الشعبي وصلتها بالأدب الرسمي، مثل دراسة أشرف فوزي عن "أدب الأطفال في قصص عبد التواب يوسف"، ودراسة سيد ضيف الله عن "آليات السرد بين الشفاهية والكتابية: دراسة في السيرة الهلالية ورواية مراعي القتل".

(2)

ونحن بصدد الحديث عن أحمد مرسي، ودوره في الحقل الشعبي العربي، أجد لزامًا عليَّ ضرورة التوقف- ولو على نحو سريع- باستعراض موجز لأهم دراساته العلمية، التي ساهمت في إنجاز مشروعه العلمي في مجال دراسة المأثورات الشعبية العربية. فلقد استهل أحمد مرسي مشواره العلمي برسالتين بحثيتين، هما الماجستير والدكتوراه، صارتا- بعدئذ- رائدتين، كل في مجالها. جاءت رسالته للماجستير بعنوان: "الأغنية الشعبية في منطقة البرلس/ 1966"، وهي دراسة صارت مصدرًا أساسيًّا لا يمكن الاستغناء عنه لكل من يكتب عن الأغنية الشعبية خاصة، أو عن الأدب الشعبي عامة؛ وذلك للدقة العلمية التي اتبعها د. مرسي في دراسته، إلى جانب النصوص الميدانية المهمة، التي تمكَّن من جمعها جمعًا علميًّا، وهي نصوص شملت كل أشكال الأغنية الشعبية وأنواعها، وتعد قدرة د. مرسي على تصنيف هذه النصوص تصنيفًا علميًّا- في وقت مبكر من حياته- أمرًا لافتًا للنظر. كما تأتي أهمية هذه النصوص في أن بعضها - ويا للأسف- اندثر، ولم يعد يروى الآن؛ لأسباب عدة، لسنا في معرض ذكرها الآن، وإن كان يأتي على رأسها وفاة رواة هذه النصوص، دون وجود من ورث حفظها عنهم. كما يعد من أهم ما أكسب رسالة الماجستير تلك قيمة، هو قدرة صاحبها على تدوين هذه النصوص بطريقة مقروءة، وكلنا يعلم مدى صعوبة تدوين النصوص الشفاهية المسموعة؛ لتصير نصوصًا مدونة مقروءة!! غير أن أهم العوامل التي أكسبت هذه الرسالة قيمة على قيمتها العلمية، هو ريادتها في دراسة الأغاني الشعبية الشفاهية. وينتقل في رسالته للدكتوراه "المأثورات الأدبية الشعبية في إقليم الفيوم/ 1969"، لمنطقة جغرافية أخرى، أكثر ثراءً وتنوعًا، وهي منطقة ثقافية بعيدة عن نشأة أحمد مرسي، سواء من حيث اللهجة أو العادات والتقاليد

والمعتقدات الشعبية، إلى جانب الناس الذين سيتعامل معهم. ورغم الصعوبات التي يمكن أن تواجه الباحث الميداني عندما يكون باحثًا غريبًا، وليس من أبناء تلك المنطقة البحثية، أو ما يمكن أن نطلق عليه "الباحث من الخارج، أي من خارج تلك المنطقة البحثية، فإنه تمكَّن من أن يدرس كل أشكال المأثورات الأدبية الشعبية بالفيوم، على اختلاف إثنياتها، ما بين بدو وفلاحين وحضر، وصيادين ...إلخ، فيدرس الحكاية الشعبية، والأغاني الشعبية، والأمثال الشعبية، والألغاز الشعبية، والشعر الشعبي ... إلى غير ذلك. وتتوفر له مجموعة نصوص في غاية الأهمية، يتمكن من جمعها وتدوينها وتصنيفها ودراستها. تعد هاتان الرسالتان العلميتان الرصينتان بداية الانطلاقة العلمية لأحمد مرسي، نحو تحقيق منجزه العلمي، الذي يبدو متماسكًا ومترابطًا. فالدراسات العلمية التالية لم تكن سوى استكمال لهذا المشروع من عدة زوايا مختلفة، ولكنها، تلتقي حول المشروع الرئيس، المتمثل في الاهتمام بالمواطن المصري البسيط، وإبداعه الثري والخلَّاق؛ بغية رفع الغبن الاجتماعي والثقافي عنهما (أي عن الإنسان وإبداعه)، بعد كل ما طالهما من تهميش.

يأتي كتابه القيم "مقدمة في الفولكلور/ 1995"[1]، في قسمين، أولهما تنظيري؛ بهدف تعريف القارئ العربي بماهية الفولكلور، ذلك العلم الغربي من حيث دراسته لأشكال المأثورات الشعبية، وكذلك تاريخ نشأته، وأهم مدراسه. وينتقل في القسم الثاني للدرس التطبيقي، الذي يقدم فيه عصارة تجاربه الميدانية، من خلال توقفه في أحد فصول هذا القسم عند الجمع الميداني؛ ليمنح الباحث الإجابة الإرشادية، أو الدليل الإرشادي الذي يمكنه من الوصول ليصير باحثًا ميدانيًّا ناجحًا، وذلك من خلال الملاحظة والمعايشة والمشاركة الاجتماعية. يتحدث- بعدئذ- عن تصنيف الأدب الشعبي، والحكاية الشعبية، وأهم نظريات دراستهما. وإذا كان أحمد مرسي قد انشغل في رسالته "الأغنية الشعبية"، وما تبعها من دراسات لا تقل عنها قيمة في الموضوع نفسه بعمومياته، فإنه يتوجه في كتابه المهم "كل يبكي على حاله/ 1999"[2]، إلى دراسة الأنواع الفرعية من الأغنية الشعبية، حيث يخصص هذا الكتاب لدراسة فن العديد، من الزاوية الفنية والنفسية والاجتماعية والأنثروبولوجية. وإلى جانب القيمة التحليلية العميقة للكتاب، فإن الكتاب يشتمل على مجموعة مهمة جدًّا من نصوص العديد، التي سبق أن جمعها د. أحمد مرسي. ولا تقل دراسته المهمة "الخرافة في حياتنا/ 2010"[3] قيمة عن سابقاتها؛ إذ يتخذ د. مرسي من بعض الظواهر الحياتية واليومية البسيطة، التي يعيشها بعضنا، دون أن تلفت نظرنا، أو توجهنا نحو دراستها- مادةً للدراسة،

[1] د. أحمد علي مرسي: مقدمة في الفولكلور، القاهرة، دار عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، 1995.
[2] د. أحمد علي مرسي: في الأدب الشعبي، كل يبكي على حاله، القاهرة، دار عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، الطبعة الأولى، 1999.
[3] د. أحمد علي مرسي: الإنسان والخرافة، الخرافة في حياتنا، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مكتبة الأسرة 2003.

فدرس العادي واليومي والبسيط، ورفعه إلى حيث يستحق من الدراسة، ومنحه المساحة العلمية الأكاديمية، التي جعلت منه ظواهر علمية تستحق الدرس والتحليل. وفي كتابه المهم ذي البعد السياسي القومي "الفولكلور والإسرائيليات/ 1977"[4]، الذي ألَّفه بالاشتراك مع د. فاروق محمد جودي، يحرص على إبراز الوظيفة السياسية للفولكلور، من حيث دولة لا تمتلك فولكلورًا ولا تاريخًا، فتزيف تاريخًا وفولكلورًا لها، وتنسبه إليها، وتعمل على تزييف إنتاجه؛ لتكتسب مشروعية ووجودًا، وبين دول تمتلك التاريخ والفولكور، دون أن تعرف قيمتهما، فتفقد تاريخها لفقدها قيمة فولكلورها.

(3)

خلال مسيرة أحمد مرسي الطويلة والحافلة بالعطاء والإخلاص والتفاني لخدمة مجاله العلمي الذي تخصص فيه، وخدمة وطنه، الذي أحبه وأخلص له حتى وفاته، خاض العديد من المعارك لصالح هذا المجال، الذي دأب الكثيرون على الانتقاص من أهمية دراسته، وبأنه لا يستحق أن يكون مقررًا دراسيًّا داخل جدران الجامعات، التي ينبغي أن تنشغل بما هو أهم، مثل دراسة النحو ودراسة الشعر العربي القديم والحديث، وليس دراسة أدب المهمشين والبسطاء والفلاحين والبدو والصيادين والغجر، أو كل ما يتم تداوله عبر وسيط اللهجات العامية، أو كيف لنا أن ندرس فنانين شعبين أمثال محمد طه أو خضرة محمد خضر أو فاطمة سرحان أو جابر أبو حسين أو سيد الضوي؟ لذلك نجد بين الحين والآخر تطفو على الساحة معارك وجودية للمجال، من قبيل حذف أو تقليص عدد ساعات تدريس مقرر الأدب الشعبي، أو محاولات البعض لإلغاء لجنة الفنون الشعبية بالمجلس الأعلى للثقافة. وفي كل مرة كانت تثار فيها مثل هذه المعارك كنا نجد أحمد مرسي يظهر قويًّا كالأسد الذي يحافظ على عرين التخصص، ليس من باب الدفاع عنه لأنه تخصصه، وإنما لأنه يدرك قيمة هذا التخصص بالنسبة لهوية هذه الأمة، فهذا المجال بمثابة ركن ركين للدفاع عن الهوية الثقافية المصرية، مؤمنًا بأن التفريط في هذا الأمر هو بمثابة خيانة وطنية، وخيانة للقطاع العريض من ممثلي هذا الشعب، ممن تشتمل إبداعاتهم على أصوات المهمشين من أبناء هذا الوطن. وبقدر ما كان الانتصار حليفًا له في معركته الأولى عندما نقل الاهتمام بجمع المأثورات الشعبية من خارج أسوار الجامعة إلى داخلها، فإن الانتصار دائما كان حليفه في مثل هذه المعارك، التي لا يزال بعضها يتردد حتى الآن بين الحين والآخر. ولا أدل على المكانة التي وصل إليها أحمد مرسي، سواء مكانته الشخصية والعلمية، أو قدرته على فرض المجال داخل المؤسسات الأكاديمية، من هذا الكم الكبير من الجامعات المصرية والعربية والغربية

[4] د. أحمد علي مرسي، د. فاروق محمد جودي: الفولكلور والإسرائيليات، القاهرة، مؤسسة المعارف للطباعة والنشر، 1977.

التي قام بالتدريس فيها. فقد حاضـــر فى جامعات أوســـلو وبرجن بالنرويج واســـتكهولم بالســـويد والأوتونوما بمدريد – إســبانيا، وعين شــمس بالقاهرة، وأكاديمية الفنون الشــعبية بالقاهرة، وجامعة حلوان بالقاهرة، وجامعة المنصورة، وجامعة الإسكندرية بالإسكندرية.

إن الدور الأكبر لأحمد مرسي الذي قدمه لخدمة مجال المأثورات الشعبية العربية عامة، والمصرية خاصة، تمثل خارج نطاق الجامعة. أعني مشاركاته العامة التي ساهمت في زيادة الوعي العام بقيمة المأثورات الشعبية وأهميتها، وبأنها مجال يستحق الاهتمام من قبل الدولة، ويستحق الدراسة. تمثل هذا فيما اضطلع به من أعمال إنشائية ثقافية وعلمية متصلة بخدمة دراسات المأثورات الشعبية وأبحاثها، منها: المشاركة في مشروع إعادة تنظيم أجهزة الثقافة في المجتمع المصري الذي نهض به مركز بحوث التنمية والتخطيط التكنولوجي- جامعة القاهرة (1980- 1981)، إنشاء المعهد العالي للفنون الشعبية بأكاديمية الفنون- مصر 1981 وهو المعهد الوحيد من نوعه في العالم العربي، وكان أول عميد له (1981- 1987)، إنشاء المعهد المصري لدراسات البحر المتوسط بمدريد (1991)، إنشاء المعهد المصري للدراسات الأيبروأمريكية بمدريد (1991)، إعداد مشروع جمع وتوثيق روايات السيرة الهلالية ضمن مشروع اليونسكو للحفاظ على روائع التراث الشفاهي وغير المادي للإنسانية، ومشروع توثيق تنمية فن التلي ضمن مشروع المرأة حافظة التراث بالتعاون بين المجلس القومي للمرأة والجمعية المصرية للمأثورات الشعبية (2005)، إنشاء الأرشيف القومي للمأثورات الشعبية (2006)[5]. والمشاركة فى إصدار أول أطلس للمأثورات الشعبية المصرية عام 2006م. وكذلك دوره في إعادة إصدار مجلة الفنون الشعبية – الهيئة العامة للكتاب- وزارة الثقافة – مصر – عام 1987م، بعد توقفها فى عام 1970م. ويعد من أهم الأدوار التي لعبها أحمد مرسي، حرصه على إعادة إصدار مجلة الفنون الشعبية، وإنشاء الأرشيف القومي للمأثورات الشعبية المصرية، وتأسيس الجمعية المصرية للمأثورات الشعبية.

- **مجلة الفنون الشعبية:**

التي تصدر عن الهيئة المصرية العامة للكتاب، بوزارة الثقافة المصرية، والتي تعد أول مجلة متخصصة في نشر دراسات المأثورات الشعبية مصريًّا وعربيًّا، وهي **مجلة "الفنون الشعبية"** التي صدرت عام 1965، عن الهيئة المصرية العامة للكتاب، ورأس تحريرها د. عبد الحميد يونس، ولكنها توقفت فترة عن الصدور، ولكن عقد الثمانينيات، وتحديدًا عام 1988، يشهد عودتها مرة

[5] د. محمد الجوهري: موسوعة التراث الشعبي العربي، المجلد الرابع، الأدب الشعبي، مرجع سبق ذكره، ص 42، 43.

أخرى إلى الحياة الثقافية لتغطي النشر في هذا المجال المهم. وذلك بعد أن أصبح رئيس تحريرها د. أحمد مرسي، تقديرًا للدور الكبير الذي قام به من أجل إعادتها إلى الحياة، وكذلك تقديره لدوره فيما يبذله من أجل استمراريتها وتجويد منتجها شكلًا ومضمونًا.

- الجمعية المصرية للمأثورات الشعبية:

ساهم أحمد مرسي بدور كبير في تأسيس الجمعية المصرية للمأثورات الشعبية في عام 2000، وهي جمعية مشهرة برقم 1434-12-4-2000 م بوزارة الشئون الاجتماعية - الدقي تقوم الجمعية بإعداد برنامج سنوي للموسم الثقافي بمقر الجمعية يتناول موضوعات الأنشطة الثقافية والعلمية والأبحاث في مجال المأثورات الشعبية، وذلك بالتعاون مع المتخصصين في مجال المأثورات الشعبية بالجامعات المصرية وأكاديمية الفنون. وتستهدف الجمعية ما يأتي:

- جمع وتصنيف ودراسة المأثورات الشعبية بجميع أنواعها بغرض الحفاظ عليها وحمايتها.
- عقد المؤتمرات والندوات ونشر الدراسات المتخصصة في هذا المجال.
- تبادل الخبرات بينها وبين الجمعيات الأخرى في المجال نفسه.
- إصدار دوريات ومجلات ونشرات ومصنفات فنية.
- عقد دورات تدريبية وورش عمل في المجال نفسه.
- الاهتمام بالحرف والصناعات الشعبية والعمل على تنميتها.
- إقامة المعارض والحفلات الفنية.
- مساعدة أعضاء الجمعية الذين يقومون بدراسات ميدانية في مجال المأثورات الشعبية تحت إشراف مجلس إدارة الجمعية[6].

-الأرشيف القومي للمأثورات الشعبية:

كان إنشاء أرشيف قومي للفنون الشعبية المصرية لكي ينهض بمهام جمع المأثورات الشعبية المصرية وتوثيقها يعد حلمًا شغل بال الأساتذة رواد دراسة الأدب الشعبي في مصر، سهير

[6] للمزيد يمكن الرجوع إلى موقع الجمعية على الرابط التالي:
http://www.esft.info/ar/Contact

القلماوي وعبد الحميد يونس وعبد العزيز الأهواني وأحمد رشدي صالح. وقد بدأت الفكرة تشغل بالهم من خمسينيات القرن الماضي. وكانت البداية في عام 1957 بإنشاء مركز الفنون الشعبية ولجنة الفنون الشعبية بالمجلس الأعلى للفنون والآداب والعلوم الاجتماعية. ومع إنشاء المركز بدأت تنشط حركة جمع المأثورات الشعبية وتوثيقها ومحاولات تصنيفها. وقد ورث الجيل الثاني/ تلامذة الرواد من دارسي المأثورات الشعبية المصرية (أحمد مرسي وأسعد نديم وعبد الحميد حواس ومحمد الجوهري وصفوت كمال) هذا الحلم. ومع بداية القرن الحادي والعشرين، وتحديدًا عام 2000 يتم إنشاء الجمعية المصرية للمأثورات الشعبية، بوصفها جمعية أهلية تضم المهتمين بهذا الحقل. وقد جعلت هذه الجمعية أحد أهم أهدافها هو السعي نحو إنشاء أرشيف قومي للمأثورات الشعبية. وتمكنت– أخيرًا– من تحقيق هذا الحلم عام 2006، بعد الحصول على منحة من الصندوق العربي للإنماء الاقتصادي والاجتماعي، وبعد الحصول على موافقة وزير الثقافة بتخصيص جزء من بيت الخرزاتي، المجاور لبيت السحيمي بالجمالية، ليكون مقرًا لإنشاء الأرشيف القومي للمأثورات الشعبية. وقد أتاحت المنحة البدء في بناء القاعدة الأساسية للمشروع بتوفير أحدث أجهزة الجمع والتسجيل والتصوير، وأجهزة الحاسب الآلي، وكذلك تدريب شباب الباحثين على عمليات الجمع والتسجيل والتوثيق. ويبلغ عدد هؤلاء الباحثين المتدربين 40 باحثًا، ويشرف على المشروع، ويشارك فيه 15 أستاذًا وخبيرًا متخصصًا[7].

- **برنامج الفن الشعبي:**

هذا البرنامج، الذي ظل د. أحمد مرسي يقدمه على التليفزيون المصري لفترة طويلة، وتمكن– من خلاله– من تقديم عدد كبير من المبدعين الشعبيين، على النحو اللائق بهم، بوصفهم فنانين لا يقلون قيمة عن نظرائهم الرسميين، فكان يجري معهم حوارات على قدر كبير من الاحترام، والأهمية. إلى جانب– تمكنه– من أن يحفظ لنا جزءًا كبيرًا من محفوظ هؤلاء المبدعين من الضياع، بتسجيله لهذه النصوص الإبداعية الشعبية. ولقد استطاع هذا البرنامج أن ينقل للجمهور والمشاهدين أهمية هذه المأثورات الشعبية، مما أثار اهتمام الجمهور بالإبداع الشعبي، بإدراكهم قيمة هذه النصوص، التي كانت تعيش وسطهم، دون أن يدركوا قيمتها خارج سياقهم الاجتماعي.

[7] للمزيد، يمكن الرجوع لموقع الأرشيف على الرابط التالي:
http://nfa-eg.org/egypt_folk_dances/MorePage.aspx?PID=1002

(4)

لماذا بدأت بالمثل الشعبي، الذي افتتحت به حديثي؟ باختصار شديد، هذا المثل الشعبي مأخوذ من السيرة الهلالية، وكان أستاذي د. أحمد مرسي دائمًا ما يردده، في أكثر من سياق؛ ليعطينا- نحن تلامذته، ونحن نستهل حياتنا العلمية- من خلاله درسًا في الأستاذية في كيفية تعامل الأستاذ مع طلاب العلم، التي تعني ضرورة تعلم قيم الحرية والاعتماد على الذات، وضرورة خوض طريق البحث والعلم بقوة. فالمثل يعني ارمِ أبناءك في الميدان، وسيعود كل منهم بمثيله من الأعواد. فالابن القوي سيشتد ساعده، وسيعود بعود قوي، أما الضعيف فسيعود بعود ضعيف مثله. ولم يكن إلقاء أحمد مرسي لنا في ميدان الجمع الميداني خاليًا من المتابعة والتدقيق، وإنما كان يقوم بدور المراجعة والتقييم والتعليم لنا، تاركًا لنا المساحة التي تسمح بتكوين شخصيتنا العلمية، من واقع زرع الثقة في نفوسنا مبكرًا، وليزرع فينا- كذلك- مسئولية حمل أمانة التخصص.

أختتم حديثي هذا بأن مجال دراسة الأدب الشعبي مجال مهم جدًّا لخدمة قضايا الوطن، وتتبدى أهميته خاصة في معركة بناء الوعي التي تخوضها دولتنا المصرية حاليًا. غير أن هذه المعركة لتأخذ مسارها الصحيح فلا بد من توفير قراءة حقيقية لما يدور بخُلد المواطن المصري وعقله، وهو ما تعكسه إبداعاتنا الشعبية، إذ تُظهر لنا هذه الإبداعات على نحو بسيط آمال المواطن وآلامه، أفراحه وأتراحه، تطلعاته وانكساراته، أحلامه وواقعه ورؤيته لمستقبله. إن نصوصنا الشعبية بقدر ما تلخص لنا مشكلات المجتمع وتطلعاته، فإنها تجيد التعامل مع الكثير من القضايا الراهنة، بطرح الحلول للعديد منها، خاصة مع تنامي الإشاعات التي تحاول أن تضرب جذور هويتنا؛ وذلك لقدرة هذه النصوص على التعامل مع القطاع العريض من أبناء الشعب المصري، من خلال الاستقراء المباشر والميداني للواقع المعيش الحقيقي. ولعل هذا الأمر- أعني القدرة على قراءة الواقع المصري، وقراءة العقل والوعي الشعبيين المصريين- هو ما تميز به- على نحو لافت للنظر- الراحل والمغفور له بإذن الله أبي وأستاذي ومعلمي أحمد مرسي.